

التطرف. إنكم تخلطون بين الليونة والإهمال وبين الاستقامة والصرامة. هذا ما ينبغي تمييزه جيداً. إن الأباطرة الحكماء القدماء كانوا يحكمون بالتأكيد بكثير من الليونة ولكنهم يحرصون على أن تراعى القوانين. ولكن الحال لم يكن على هذا النحو في ظل آخر أباطرة /يوان/ إذ لم يكونوا يفكرون إلا في ملذاتهم وكانوا يهملون شؤون الحكم، وكان كبار الموظفين - إقتداء بهم - يهملون إلتزاماتهم الأساسية ولا يفكرون إلا في جمع الثروات لاستخدامها في الأشياء الكمالية والفسق ومختلف أنواع اللهو. وشريطة أن يبتزوا الشعب لإشباع جشعهم، كانوا يطلقون العنان للشعب حول الأمور الأخرى. هذا هو رأيي حول سبب ضياع أباطرة /يوان/. إن الشعب الذي أصبح بائساً في ظل حكمهم لأنه كان يُتترع منه كل شيء، تمرد أخيراً. لتتجنب نحن العيوب التي لاحظناها عند الذين سبقونا: لنعمل على إسعاد الشعب ولانطلب منه إلا التقيد بالقوانين والقيام بواجباته، لنجعله قادراً على الحصول على أسباب العيش بسهولة أكبر مما كان عليه الحال كما ذكرنا. إني أعفي الشعب هذه السنة من جميع الضرائب ومن جميع الغرامات.

نلاحظ هنا أن /خونغ وو/ كان يطبق مبدأ «عدم الفعل» يذكر /اييل دميزات/ الرأفة التي أبدتها الإمبراطور /خونغ وو/ مع الأمير المنغولي /مايتيلياالا/، حفيد آخر أباطرة /يوان/. كانوا يحثون /خونغ وو/ على تضحية الأسير على مذهب الأجداد وفقاً للعادة. وكانوا يذكرون له كمثله أن الإمبراطور /تانغ تسونغ تانغ/ كان يتصرف على هذا النحو في الظروف المماثلة. ولكن بالنسبة لـ /خونغ وو/ إن السلطة العليا هي الضمير وأن ضميره يمنعه من القتل. وهكذا فضل التخلي عن هذا التقليد. ونحن نعرف أهمية التقليد في الصين، ويجب أن نشمن قرار /خونغ وو/ ضمن هذه المنظور: ويضيف /ديميزات/:

«أعرف، أجب الإمبراطور، أن هذا الأمير قد قتل /وانغ شي تونغ/ في صالة أجداده. ولكن لو كان بين أيديه أحد أفراد عائلة /سوي/ التي خلفتها عائلته، أشك بأنه كان سيتصرف نفس التصرف. لتوضع في الخزانة العامة الثروات الآتية من بلاد /التتر/ لسد حاجات الدولة. أما بخصوص الأمير /مايتيلياالا/، فإن أسلافه كان أسياد الإمبراطورية خلال حوالي المئة عام. وكان أجدادي من رعاياهم. ومع ذلك قد يكون معاملة أبناء سلالة يُقضى عليها على نحو ما ذكرتم عرفاً ثابتاً، ولكنني لا أستطيع أبداً أن أقرر ذلك. أمر الإمبراطور أن يتزع اللباس التري عن الأمير والباسه على الطريقة الصينية وأعلنه أميراً من المرتبة الثالثة. خصص له موكباً ومرتباً مناسباً وأعطاه قصرأ له